

تفسير البحر المحيط

@ 137 فيكم . وجاء لفظ ظلام الموضوع للتكثير ، وهذا تكثير بسبب المتعلق . وذهب بعضهم إلى أن فعلاً قد يجيء لا يراد به الكثرة ، كقول طرفة : % (ولست بحلال التلاع مخافة % .

ولكن متى يسترقد القوم أرفد .

%)

لا يريد أنه قد يحل التلاع قليلاً ، لأن عجز البيت يدفعه ، فدلّ على نفي البخل في كل حال ، وتام المدح لا يحصل بإرادة الكثرة ، وقيل : إذا نفي الظلم الكثير اتبع القليل ضرورة ، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضرر كان للظلم القليل المنفعة أترك . .

وقال القاضي : العذاب الذي توعد أن يفعله بهم : لو كان ظالماً لكان عظيماً ، فنفاه

على جد عظمه لو كان ثابتاً والعبيد جمع عبد ، كالكلب . وقد جاء اسم الجمع على هذا الوزن نحو الضيفن وغيره من جمع التكسير ، جواز الأخبار عنه أخبار الواحد كأسماء الجموع ، وناسب لفظ هذا الجمع دون لفظ العباد ، لمناسبة الفواصل التي قبله مما جاءت على هذا الوزن ، كما ناسب ذلك في سورة فصلت ، وكما ناسب لفظ العباد في سورة غافر ما قبله وما بعده . قال ابن عطية : وجمع عبداً في هذه الآية على عبيد لأنه مكان تشقيق وتنجية من ظلم انتهى كلامه . ولا تظهر لي هذه العلة التي ذكرها في هذا الجمع . وقال الزمخشري : (فإن قلت) : فلم عطف قوله : وأن لا ليس بظلام للعبيد ، { عَلَائِي مَآ * قَدَّ مَتَّ أَيْدِيكُمْ } وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكاً لاجتراحهم السيئات في استحقاقهم العذاب ؟ (قلت) : معنى كونه غير ظلام للعبيد : أنه عادل عليهم ، ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثب المحسن انتهى . وفيه رائحة الاعتزال . .

{ السَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا * أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ

حَتَّى يَأْتِيَ تِينًا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُمُ النَّارُ } قال الكعبي : نزلت في كعب بن

الأشرف ، ومالك بن الصيف ، ووهب بن يهودا ، وزيد بن مانوه ، وفنحاص بن عازوراء ، وحيي

بن أخطب ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقالوا : تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً ،

وأنزل عليك كتاباً ، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند

الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فإن جئتنا به صدقناك . وظاهر هذا القول أنه عهد

إليهم في التوراة ، فقيل : كان هذا في التوراة ، ولكن كان تمام الكلام حتى يأتيكم

المسيح ومحمد ، فإذا أتياكم فأمنوا بهما من غير قربان . وقيل : كان أمر القرابين ثابتاً ، إلى أن نسخت على لسان المسيح . وقيل : ذكرهم هذا العهد هو من كذبهم على الله تعالى ، وافترائهم عليه ، وعلى أنبيائه . . .

ومعنى عهد : وصي ، والعهد أخص من الأمر ، لأنه في كل ما يتناول أمره ويبقى في غابر الزمان ، وتقدم تفسيره . وتعدى نؤمن باللام كما في قوله : { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى } يؤمن . والقربان : ما يتقرَّب به من شاة أو بقرة أو غير ذلك ، وهو في الأصل مصدر سمي المفعول به كالرهن ، وكان حكمه قديماً في الأنبياء . ألا ترى إلى قصة ابني آدم ، وكان أكل النار ذلك القربان دليلاً على قبول العمل من صدقة أو عمل ، أو صدق مقالة . وإذا لم تنزل النار فليس بمقبول ، وكانت النار أيضاً تنزل للغنائم فتحرقها . وإسناد الأكل إلى النار مجاز واستعارة عن إذهب الشيء وإفناؤه ، إذ حقيقة الأكل إنما توجد في الحيوان المتغذي ، والقربان وأكل النار معجز للنبي يوجب الإيمان به ، فهو وسائر المعجزات سواء .

وإن يعين من الآيات ما شاء لأنبيائه ، وهذا نظير ما يقترحونه من الآيات على سبيل التبكيت والتعجيز . وقد أخبر تعالى أنه لو نزل ما اقترحوه لما آمنوا . . .

والذين قالوا صفة للذين قالوا . وقال الزجاج : الذين صفة للعبيد . قال ابن عطية : وهذا مفسد للمعنى والوصف انتهى . وهو كما قال . وجوزوا قطعة للرُّفع ، والنصب